وكان الرافعي معنياً بمستقبل أولاده عناية كبيرة ، فكان يحملهم على العمل بوسائل شتى . وكثيراً ما كان يرسم لهم الخطة للتحصيل والمذاكرة ، وقد وجدت بين أوراقه حديثاً له إلى ولده إبراهيم ينصحه ويرسم له منهجاً ليهيئ نفسه للامتحان ، لو أنه اتبعه لكان اليوم غير ما هو !

ومن أجل أولاده أنشأ كثيراً من المقالات عن عيوب الامتحانات لمناسبات مختلفة كان ينشرها في القطم ؛ وكانت له طلبات ومقترحات إلى وزارة المعارف أجابت أكثرها ولم ينتفع بها أحد من ولده ومن أجلهم أنشأها !

أنشأ هذه المقالة قبيل عيد الأضحى ، وكان اشترى خروفين للتضحية أودعهما فوق سطح الدار إلى ميعاد ؛ فما نزعه إلى كتابة هذا المقال إلا هذان الخروفان ، ثم حاجته إلى أن يقدم إلى ولده نموذجاً في الإنشاء يعينه على بعض واجبه المدرسي .

* * *

وكان للرافعي رأي فيما تنقل الصحف من أخبار تركيا تفسره مقالة « تاريخ يتكلم »

وقد دعاه إلى إنشاء هذا المقال أخبار تناقلتها الصحف في ذلك الوقت عن أحداث تجري في تركيا ، رأى فيها مشابه من حوادث سبقتها في مصر قبل ذلك بألف سنة في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي

وفي أحيان كثيرة كانت تثور نفس الرافعي لما يسمع من أخبار تركيا فيهم أن يكتب ثم يمنعه من ذلك خشيته أن يكون فيما يكتبه شيء يقفه موقف المسئول عن غلطة تعكر صفاء ما بين الدولتين ؛ ثم جاءت مناسبة هذه المقالة فأنشأها وجعل الحديث فيها عن الحاكم بأمر الله وهو يعني رئيس الجمهورية التركية ؛ وكانت هذه التعمية وسيلته ليتهرب من التبعة السياسية ، ومنها كان الغموض في كثير من معانيه ؛ فمن شاء فليعد إلى هذا المقال ليقرأه وقد عرف داعيه ، فلعله لا يجد فيه غموضاً من بعد

ومن أجل هذا السبب ولهذا القصد نفسه كان مقاله « كفر الدباية » الذي أنشأه على أسلوب كليلة ودمنة بعد ذلك بأشهر .

« سيدي بشر » محمد سعيد العريان

تحرير الألفاظ

الروعة والطرب

للاستاذ محمد شوقي أمين

تقول اللغة في مشهور ما تقول : طرب الرجل : فرح ، وطرب: حزن. وتقول أيضاً : راعه الأمر أعجبه، وراعه: أفزعه

والقائم في الأذهان أن لفظي الروعة والطرب من باب الأضداد المتعارف شأنها في خصائص الفصحى ؛ على حين أنهما في الحق لا يدلان على واحد من الضدين بعينه حقيقة ووضعاً ، فحقيقتهما ووضعهما للوجَان والتضرّب لاغير . فالروعة والطرب يدلان كلاهما على اهتزاز النفس وتحركها ، وهيْج الخاطر وتأثره؛ وإنما يدل كل منهما على معنيَي الفرح والحزن دلالة مجازية بين السياق نص موقعها من الإبانة والافهام ، وتؤازر القرائن المقصود لدلالته منها في أسلوب الكلام

وربما كان الصوت الرخيم شبيه ما نحن بصدده من هذين اللفظين ، فإن الدلالة المعنوية للصوت الرخيم على معنيَي الحزن والفرح ، أكثر شيء وفاقاً لدلالة لفظي الروعة والطرب على ذَيْنك المعنيين

متى ذكر جمال الصوت ورقته ، انصرف الذهن أول ما ينصرف إلى الفرح ؛ فالغناء فيما يبدو للناس على وجه عام ، يريد المسرة ، ووافد الابتهاج . مع أنه في حقيقة الأمر يستنبث الشجو ، كما يستثير النبطة ؛ ويرتاح له الشعور الحزين ، كما يأنس به البال الرقيه . فهو منتجع الشجيين والخليين على سواء بينهما . وكم أنبطَ الغناء من عبرات حِرَار لم تكن تَبضّ قطراتها لولا رِشاء النغم الحنون !

تلك هي النائحة المستأجرة ، تبعث صوتها المتحزّن في مناحات النساء ، فاذا به وقود تتضرّم به مجامر الزفرات ، ورنين تستيقظ به كوامن الأحزان . فتمضي النساء وقد حضرتهن الهموم يكبن شجْوَهن !

وهذا ابن سريج ظل صدر شبابه ينوح. وقد أنسيتُ : أين ؟ أفي مكة أم في المدينة ؟ وحيثما كان فقد نوّح دهراً وهو وَرْقاء

هتوف ، قبل أن يغنى فى بغداد وهو بليل صَيْدَح ... هاج صوته خلف الجنائز لواعج الحزانى ، من المكيين أو المدنيين بين رجال ونساء ، وأحيا ذلك الصوت نفسه ليالى البغداديين الملاح ، فكان عون اللهو ورُقْيةَ الصبوات !

ذلك لأن الغناء فى ذاته لا شأن له بما يكون في النفس من أفراح أو أتراح ، وإنما هو ذوب ينسرب إلى أذن السامع ، وسحر يمشى فى حسه ، فيهزّ مناحى الشعور ، ويضىء ظلام الجوانح ، فينكشف مستورها من الأفراح أو الأتراح ...

فعمل الغناء على هذا هو التنبيه والايقاظ ، سواء أكانت النوائم آلاماً أم فوائد . وهكذا الشأن فى لفظىّ الروعة والطرب فهما يدلان على الهيجة والهزة والتحرك ، سواء أكان ذلك للفوائد أم للآلام

أما مفاد قول اللغويين فى لفظ الروع فهو : الفزع ، وقالوا : سُمى القلب رُوعاً بالضم ، لأنه موضع الفزع . فتقول : راعه الأمر ، أى بلغ الرَّوْع رُوعه ، والأمر الرائع هو الذى يصل الفزع منه إلى القلب

وفى رأيى أن العرب سموا القلب روعاً وجرى بينهم استعماله ثم اشتقوا منه الفعل : راع ، ليفيد إصابة القلب كما يقال : فأده أصاب فؤاده ، ورأسه أصاب رأسه ، وعانه أصاب عينه . وهذا الباب من أبواب العربية ينفسح لكل الأعضاء ، فقد ألمع العلماء إلى اطراده ، تقول : فَعَلَه ، أى : أصابه ، وفُعِل هو ، بالبناء للمجهول ، أى أصيب

وقد أغفل أصحاب المعجمات أسفارهم من الاشارة إلى هذا الوجه خلال أقوالهم في اشتقاق فعل : راع ، وعلقوا الصلة بينه وبين الروع بمعنى القلب على بلوغ الفزع ، وذلك التعليق هو الذى إياه نأبى ، وغيره نرى .

على أنهم فى تعليلهم لبعض الاستعمالات العربية فى هذا اللفظ ذكروا مايقوم مقام التنزُّل عما سبق أن علّقوه . جاء فى شرح القاموس نقلاعن حُذّاق اللغة : « ما راعنى إلا بجيئك ، معناه : ما شعرت إلا بمجيئك ، كأنه قال : ما أصاب رُوعى إلا ذلك » وهذا التفسير اللغوى يفيد ، على جلاء ، أن راعه الأمر : أصاب رُوعه ، أى قلبه ، دون ذكر لخوف أو فزع .

وهذا تعبير عربى وثيق ، تقول : « وقع ذلك فى رُوعى ، أى نفسى وخلدى وبالى » فالوقوع هنا خالص مجرد ، وهو يفيد الوصول إلى القلب ، غير محدود بوصف ، ولا معيَّن فيه وجه .

ومن فُصح العربية كذلك قولك : « فلان يرتاع للخير » ووجه هذه العبارة أن ارتاع هنا مطاوع راع ، فلان يروعه الخير ، أى يمس قلبه ، ويقع فى نفسه ، فهو يرتاع للخير ، أى يرتاع إليه ، ويطمئن به .

وعلى هذا ، تقول : راعنى الأمر ، أى وصل إلى خاطرى ، وتأثر به جنانى ، فان كان ذلك الأمر داعية بهجة فذاك ، وإن كان نذير مساءة فكذلك . فالزينة الرائعة هى الرائقة التى يبلغ إلى القلب الاعجاب بها ؛ والفجيعة الرائعة هى المفزعة التى تهزُّ القلب نَبْأتُها .

وأما لفظ الطرب فان الخطب فيه أيسر . وقد تضاربت فيه أقوال فقهاء اللغة ، ومن هذه الأقوال ما نوافقه فيما ذهبنا إليه .

هى آراء ثلاثة فى ذلك اللفظ :

أولها أن الطرب للفرح ، وللحزن . ومن شيعة ذلك الرأى « ابن الانبارىّ » فقد حشده فى كتاب « الأضداد » فيما حشد من مادة كتابه !

والثانى أنه حلول الفرح ، وذهاب الحزن . وقد ذكر هذا الرأى صاحب اللسان ، وكأنه عرف ضعفه فصان اسم صاحبه عن نسبته إليه

ثالث الآراء هو الذى تواطن اللغويين عليه ، وهو أن الطرب خفة تعترى عند شدة الفرح أو شدة الحزن . وقد ذكره من أعلام اللغة جمع بينهم «ابن دريد» فى الجمهرة و «الجوهرى» فى الصحاح

وممن ارتضى هذا الرأى من المتأخرين صاحب المصباح ، فانه أثبته فى موضعه من معجمه وزاد عليه قوله : « والعامة تخص الطرب بالسرور » . فهل فات الفيومى أن العامة تجرى فى هذا التخصيص على رأى أسلفنا ذكره هو الرأى الثانى ؟ أم يذهب إلى أن هذا الرأى ينزل من الآراء منزلة العامة وقالة السوق ؟!

ولعل أوفق ما قيل فى معنى لفظ الطرب قول ثعلب : « الطرب (عندى) هو الحركة » فهذا هو القول الصائب على ما نرى ؛ ولكن